

4321

أبارك هذا العيد السعيد وهذا اليوم الكبير وهذا الحدث التاريخي العظيم لكم جميعاً أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، ولكل الشعب الإيراني، ولكل الشيعة ولجميع المسلمين في العالم.

أطلقوا على عيد الغدير اسم (عيد الله الأكبر).. إنه عيد أكبر من كل الأعياد الموجودة في التقويم الإسلامي، وأعمقها معنى، وتأثيره أكبر من كل هذه الأعياد. لماذا؟ لأن وضع الأمة الإسلامية ومسارها من حيث الهداية ومن ناحية الحكومة قد تحدّد في حادثة الغدير هذه. لا كلام في أنه لم يجر العمل بتوصية الرسول الأعظم ﷺ في الغدير - وطبقاً لبعض الروايات كان الرسول قد أخبر أنه لن يجري العمل بها - بيد أن قضية الغدير قضية إيجاد مؤشر ومعيّار وميزان يستطيع المسلمون حتى آخر الدنيا أن يضعوا هذا المؤشر والمعيّار نصب أعينهم ويحددوا وفقه المسار العام للأمة. حينما اختار الرسول الأكرم ﷺ أكثر الأزمنة حساسية لإعلان قضية الولاية لم يكن هذا اختيار الرسول نفسه بل اختيار الله تعالى. جاء الوحي من الله أن: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾¹. لا أن الرسول لم يكن يعلم قضية الإمامة والولاية من خالقه قبل هذا. بلى، كانت هذه القضية واضحة للرسول منذ بداية البعثة. ثم كشفت الأحداث المختلفة طوال هذه الأعوام الثلاثة والعشرين الحقيقة وأجلتها بحيث لم يبق أي موضع للشك. لكن الإعلان الرسمي يجب أن يتم في أكثر الأزمنة حساسية وبأمر من الله: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾². أي إن هذه رسالة إلهية يجب أن تلقاها على الناس. ثم حين أوقف النبي المكرم الناس في غدير خم بالقرب من الجحفة، وجمع قوافل الحجاج وأعلن عن هذه المسألة، نزلت الآية الشريفة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾³، اكتملت النعمة واكتمل الدين. في سورة المائدة المباركة وقبل آية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ﴾.. هناك الآية المباركة: ﴿الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْهُمْ﴾⁴. اليوم هو يوم يأس الأعداء وقنوطهم. أي أن المعيار والمؤشر قد اتضح، ومتى ما أرادت الأمة ومتى ما فتحت عينها على الحقيقة سوف ترى المؤشر والمعيّار ولن يبقى لديها أي شك. هنا تكمن أهمية الغدير. قضية الإمامة والولاية كما جاءت في التاريخ الإسلامي قضية إلهية. لا أن الرسول الأكرم ﷺ انتخب الإمام علياً بحساباته الشخصية. مع أن الحسابات الشخصية أيضاً ترشد أي إنسان إلى أن الإمام علياً هو خليفة الرسول. إلا أن خطوة الرسول

¹ سورة المائدة، الآية 67.

² سورة المائدة، الآية 67.

³ سورة المائدة، الآية 3.

⁴ سورة المائدة، الآية 3.

كانت خطوة إلهية. منذ بداية البعثة حينما عرض الرسول الأكرم ﷺ رسالته على قبائل العرب المختلفة في مكة وعرض عليها الإسلام - وهذه قصة طويلة في تاريخ بدايات البعثة وما قبل الهجرة - توجه إلى هذه القبيلة وتلك القبيلة. زعيم إحدى القبائل المذكور في التاريخ - هذه من مسلمات التاريخ ولا دور لقضايا الشيع والتسنن في طرح هذه الوقائع، بل يروها أخوتنا أهل السنة أنفسهم - قال للرسول إننا على استعداد للإيمان بالإسلام بصفة جماعية ولكن هناك شرط، والشرط هو أن يكون هذا الأمر لنا من بعدك. أي يجب أن يكون رئيس قبيلتنا خليفة من بعدك. وقد ورد في التاريخ أن الرسول قال في جواب هذا الشخص: لا (هذا أمر سماوي).. هذه مسألة ليست بيدي، إنما هي قضية سماوية وبإيد الله. فلم تؤمن تلك القبيلة وانصرفت. إذن، مسألة خلافة الرسول تقوم على أساس الوحي الإلهي، وعلى أساس إرادة الخالق، وليست بيد الرسول. ولكن إذا أراد الرسول الأكرم أن ينتخب فمن كان يجب أن يختاره؟ الشخص الذي كان سيختاره النبي الأكرم طبعاً هو من تجتمع فيه كافة المعايير الأساسية للإسلام بحدودها الكاملة. ويمكن للمسلمين في العالم أن ينظروا ويحسبوا ويقيموا شخصية الإمام علي - صحيح أنه تروى أحاديث مختلفة في فضيلة بعض الصحابة - وينظروا في المعايير، ويضعوها بجوار بعضها، ويقارنوا على أساس القرآن والسنة، ويروا من الذي كان سيُنتخب. علم الإمام علي، والعلم أحد المعايير. وفقاً لروايات جميع المسلمين - الشيعة والسنة - يقول الرسول الأكرم ﷺ حول الإمام علي: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»⁵، فأية شهادة فوق هذه؟ وحول جهاد الإمام علي يقول الله تعالى: «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله»⁶، آية قرآنية نزلت في جهاد الإمام علي وإثاره، ولم تنزل مثلها في غيره. وحول إنفاق الإمام علي: «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً»⁷، والإمام علي وآله الأكرمون المقربون مشمولون بالآية الكريمة: «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»⁸، وقد قال الجميع أنها نزلت في أمير المؤمنين. هذه المعايير - المعايير المتعددة للتفوق والتميز في الإسلام - من علم، وتقوى، وإنفاق، وإيثار، وجهاد، وباقي المعايير الواردة في الإسلام تنطبق كلها على الإمام علي واحداً واحداً. من الذي بوسعه إنكار هذه الأمور في علي بن أبي طالب ﷺ؟

دعوتنا لجميع مسلمي العالم هي أن يتأملوا في هذه الحقائق. إننا في عالم وحدة الأمة الإسلامية لا نصر أبداً على أن تقبل إحدى الفرق عقائد فرقة أخرى، لا، ليست الوحدة بهذا المعنى. الوحدة معناها التركيز على المشتركات على الرغم من العقائد المختلفة والشعب المتفاوتة، وعدم جعل مواطن الاختلاف سبباً للاقتتال والحرب والعداء بين الإخوة. هذه هي قضية الوحدة.

ولكن من باب التعبير عن الحقيقة وطلب الحقيقة فمن المنطقي المطالبة من جميع المسلمين أن يبحثوا ويحققوا ويلاحظوا ما كتبه باحثو الشيعة، وما جمعه علماء الشيعة الكبار في زماننا وكتبوه وحققوه وعرضوه في العالم الإسلامي، وقد حظيت كتاباتهم بتقدير علماء الإسلام ومتقفي الإسلام والشخصيات الإسلامية البارزة.. ليلاحظوا هذه الأعمال، ولا يحرموا أنفسهم ولا يقيدوها. كتب المرحوم السيد شرف الدين العاملي قدس سره، هذه كلها حقائق جمعت ودونت. قضية

⁵ الاحتجاج، ج 1، ص 78.

⁶ سورة البقرة، الآية 207.

⁷ سورة الإنسان، الآية 8.

⁸ سورة المائدة، الآية 55.

الغدير قضية تاريخية مسلم بها. في عشرات الكتب.. يروي المرحوم الأميني عشرات الطرق من طرق أهل السنة تروي حادثة الغدير بالشكل الذي نرويه نحن. هذا ليس شيئاً يوجد في كتبنا نحن فقط. في معنى كلمة (مولي) قد يناقش البعض وقد لا يناقش البعض. الحادثة حادثة حقيقية وواقعية وهي عرض للمعايير. واضح أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قمة سامقة سواء كحاكم إسلامي وحكومة إسلامية، أو كفرد مسلم.

شباب هذا الإنسان الكبير نموذج لشباب الأمة الإسلامية. أن يرى الحقيقة بكل ذلك الصفاء والصدق والبصيرة، ويعرفها ويجري وراءها ويدافع عنها بكل كيانه، ويجوب ميادين الخطر، ولا يرى الأخطار ولا يكثر لها، ولا ينحرف عن طريق الصواب قيد أنملة، ويتبع خطى الرسول «يحذو حذو الرسول»⁹، ويسير خلف النبي خطوة خطوة، ويستسلم استسلاماً محضاً حيال الأوامر الإلهية وأوامر الرسول الأكرم عليه السلام، وفي الوقت ذاته يضيف على علمه لحظة بعد لحظة، ويطبّق عمله على علمه في كل لحظات حياته. هذا عن فترة شباب الإمام علي. وفترة كهولته وشيخوخته عليه السلام محفوفة بالامتحانات العسيرة والاختبارات العجيبة الغريبة، وقد أبدى في جميعها الصبر العظيم الجميل، وقدم مصلحة الإسلام - حينما كانت مصلحة الإسلام في خطر - على كل شيء حتى على حقه المفروغ منه. كان بوسع الإمام علي حينما شعر أن حقه يُضَيّع أن يثور، فهو لا يخاف من أحد. كان شخصاً إذا تقدم إلى الميدان فسوف يتبعه البعض بلا شك، ولكن فأمسكتُ يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد عليه السلام¹⁰. يقول: وجدت حوافز تعارض أصل الدين وهي تكبر في القلوب وتنمو، وأن ثمة أعداء ومعارضين يريدون انتهاز الظرف، لذلك نزلت إلى الساحة ودافعت عن أساس الدين وتنازلت عن حقي وتجاوزت. هكذا يراعي مصلحة الإسلام بكل كيانه. وحينما جاء الدور للحكم والسياسة بحسب التقدير الإلهي، ينهال عليه الناس ويصرون عليه أن يمسك زمام السلطة، فينزل إلى الساحة بكل اقتدار ﴿لا يخاف في الله لومة لائم﴾¹¹ لا يخاف أي شيء، ولا تثنيه أية لومة عن مواصلة هذا الطريق. أمير المؤمنين نموذج كامل. هذا هو ذلك الإنسان السامق الذي ترى له الشيعة كل ذلك المقام والمكانة. من المناسب أن تلاحظ الأمة الإسلامية كلها هذا.

حادثة الغدير حسب نظرة المرحوم العلامة الأميني رحمته الله صاحب كتاب الغدير، ومن ثم في رأي المرحوم الشهيد مطهري رحمته الله وسيلة لوحدة الأمة الإسلامية. لا يظن البعض أن حادثة الغدير سبب اختلاف. لا؛ لاحظوا أنهم يهتمون الشيعة اليوم أكثر من أي وقت رغم أن هذه التهم كانت في السابق أيضاً. للاحظوا أن التشيع نابع من عقيدة صحيحة سليمة خالصة تجاه الوحي الإلهي - هذا هو معنى التشيع - الاعتقاد بالقيم وبالمعايير، وجعل المعايير المتتهجة تلك التي اعتبرها القرآن الكريم معايير وملاكات. وهناك حفنة من المهرجين هنا وهناك في العالم الإسلامي يهتمون الشيعة بما هم بعيدون عنه فراسخ.. قضية التزييف والجعل، والظهور المتأخر، والطابع السياسي وما إلى ذلك من كلام يذكرونه، لا، حادثة الغدير تشطب بخط البطلان على كل هذا.

ما الذي يستفيده أولئك الذين يحاولون إخراج هذه الجماعة وهذا التيار الإسلامي الهائل عن دائرة الإسلام؟ والسياسات اليوم تقف وراءهم. السياسات اليوم تروج لهذه الأفكار. لماذا؟ لأن الشيعة استطاعوا ببركة روح الولاية أن

⁹ مفاتيح الجنان، دعاء الندبة.

¹⁰ نهج البلاغة، ص 451، الكتاب رقم 62.

¹¹ بحار الأنوار، ج 68، ص 360.

يفعلوا ما يتمناه كل المسلمين. كافة المسلمين الخيرين والمخلصين والطيبين كانوا يتمنون أن يتولى الإسلام يوماً بهذا الكمال والأحقية زمام السلطة. بقي المثقفون المسلمون في القرن أو القرنين الماضيين يتحسرون على مشاهدة مثل هذا اليوم، وقد رحلوا عن الدنيا دون أن تفارقهم هذه الحسرات. وقد أوجد الشيعة اليوم هذا الشيء وحققوه. هذا الحكم الإسلامي وهذه العظمة الإسلامية وهذه العزة الإسلامية إنما هي بفضل روح الولاية. يرى العدو هذا ويريد أن يبقى الشيعة لوحدهم ويبقى أهل البيت لوحدهم. لذلك فالاتهامات الموجهة للشيعة اليوم أكثر من أي وقت آخر. كان هناك طوال التاريخ أشخاص منحرفو الفهم ومنحرفو المسير يتحدثون ضد الشيعة ويوجهون لهم التهم، ويختلقون الأكاذيب ضدهم. بيد أن حجم الاتهامات اليوم أكبر من كل تلك التهم، وهذا بسبب السياسات وتأثيرها، فلماذا لا يفهمون ذلك؟!

نحن أيضاً يجب أن نفهم.. نحن الشيعة يجب أن نفهم وأن نعلم أن سياسة الاستكبار اليوم هي فصل الشيعة عن غير الشيعة، وفصل الجماعات المسلمة عن بعضها وتأجيج الاحتراب فيما بينها. يجب أن لا تساعد على هذا الهدف. ينبغي أن لا نسمح للعدو بالوصول إلى هذا الهدف. هذا من واجبنا ومن واجب غير الشيعة أي المسلمين في المذاهب والفرق والجماعات غير الشيعية. ليعلم الجميع هذا: الشيعة اليوم هم الذين يرفعون في إيران الإسلامية راية الاقتدار الإسلامي والعزة الإسلامية، والاستكبار يشعر بالعجز أمامها.. هذا واقع.. هذا واقع. هذه المؤامرات التي حيكت طوال الأعوام الثلاثين المنصرمة ضد نظام الجمهورية الإسلامية من قبل شتى الأعداء - طبعاً على رأسهم أمريكا وأخبتهم بريطانيا - إنما هي بسبب أنهم فزعون من التحرك الإسلامي ومن الصحوحة الإسلامية ومن عودة العالم الإسلامي إلى رشده ووعيه. يعلمون أن العالم الإسلامي إذا عاد لوعيه وبقظته وشعر بالاستقلال وشعر بالهوية والعزة فسوف تخرج هذه المنطقة الحساسة من العالم التي يسكنها المسلمون - وهي من أكثر مناطق العالم حساسية - من سيطرة الاستكبار.. إنهم يخافون هذا. ولأنهم يخافون لذلك يتآمرون ويستخدمون أدوات مختلفة. لقد عبأ زعماء السياسات الاستكبارية - أمريكا والصهيونية وباقي المستكبرين - اليوم كل قدراتهم عسى أن يستطيعوا عزل الشعب الإيراني وعزل نظام الجمهورية الإسلامية واحتواء تأثيره، لكنهم لم يفلحوا ولن يفلحوا في المستقبل أيضاً بتوفيق من الله وبفضله وحوله وقوته.

في هذه القضية النووية لاحظوا أن الأمر قد وصل بهم إلى بث الأكاذيب وترويجها واختلاقها وتضليل الرأي العام العالمي. ليست القضية قضية الإذاعة الفلانية أو الجهاز الإعلامي الفلاني، إنما مجموع الساسة الغربيين للأسف - أي هذه المجموعة المؤثرة الخاضعة غالباً لتأثير الصهاينة - أصبحت مهمتهم تضليل الرأي العام العالمي ونشر الأكاذيب، واصطناع الشعارات الكاذبة. إننا نطلب من رؤساء البلدان هؤلاء أن لا يكذبوا كل هذا الكذب. هذه الدول الغربية، الدولة الأمريكية، والدولة البريطانية، وبعض الدول الأوربية الأخرى، لا تضلل الرأي العام العالمي كل هذا التضليل. هذه الأكاذيب ستنتهي بضررهم. لقد اختبروا ذلك وشاهدوا النتائج. حينما يكذبون ويتحدثون بخلاف الواقع ثم تتضح الحقيقة فلن يبقى من سمعتهم وماء وجههم شيء. وقد حدث هذا في بعض الحالات حيث كذبوا وضللوا الرأي العام، ومارسوا بعض الأفعال على أساس ذلك، ثم اتضحت الحقيقة. وعندئذ سوف تمسك شعوبهم بتلابيبهم نتيجة كذبهم وتضليلهم.

ما تريده إيران في إطار الملف النووي، هو العلوم التي تحتاجها. العلم الذي إن لم يطلبه الشعب الإيراني اليوم، فسوف يكون الأوان قد فاتته غداً. غداً حينما لا يكون ثمة نفط وجميع عجالات الاقتصاد في العالم ستدور على أساس الطاقة الذرية، سيبقى الشعب الإيراني خالي اليدين ينتظر أن يساعده الآخرون. هذا ما يريدونه. هذه هي قضيتنا النووية، وقد ذكرتها مراراً.

إننا اليوم نعمل من أجل علمنا النووي. المهم بالنسبة لنا لكي لا تمتد أيدي أبنائنا وشبابنا وجيلنا القادم وشعبنا الإيراني الكبير نحو الغربيين بعد عشرين سنة أو بعد ثلاثين سنة. الغربيون يفرضون علينا منطق القوة اليوم بسبب النفط الذي هو ملكنا ويستخرج من أرضنا فيعطى لهم! النفط الذي يستخرج حالياً من آبار هذه المنطقة ربحه ونفعه للدول الغربية أكثر من نفعه للبلدان النفطية! النفط الذي هو اليوم ملكنا وفي يدنا، مع ذلك نراهم يتعسفون بشأنه معنا! غداً إذا أردنا أن نستورد منهم الطاقة النووية لاحظوا ما الذي سينزل بشعبنا. نظام الجمهورية الإسلامية يفكر بذلك اليوم، لذلك يصبر اليوم بأن يكسب هذا العلم وهذه التقنية وهذه المعرفة وهذه القدرة والإمكانية. لكنهم يثيرون الضجيج في العالم أن لماذا تريدون اكتساب هذا العلم؟ ويوجهون التهم ويضللون الرأي العام ويقولون له إنهم يرومون الحصول على القنبلة النووية.¹² واضح وأكيد.. انتبهوا.. أكيد أن هذا حق مسلم به للشعب الإيراني. بيد أن القضية هي أن مستكبري العالم من أجل أن يسلبوا الشعب الإيراني هذا الحق المسلم يعملون بشتى صنوف الحيل والخدع والإعلام. ينبغي التحلي بالبصيرة والوعي واليقظة. على الشعوب في مسيرتها وفي المواطن الحساسة أن تفهم ماذا يفعل أعداؤها. حينما يرى الأعداء أنهم لا يستطيعون دحر شعب بالمواجهة العسكرية وأساليب التهديد والتخويف، عندها سيبدأون استخدام طرق أخرى للإخلال. يجب أن نعي هذه الحقيقة.. طرق زرع الخلافات والعداوات والذرائع.

من الأمور التي يركز عليها الاستكبار العالمي اليوم وجود الخلافات داخل البلاد. على البعض أن يجيبوا أمام الله على ما فعلوه حين فعلوا أشياء يفهم منها العدو وجود التفرقة داخل البلاد فتزداد جرأته. القضية هي أن نعرف العدو.. ونفهم أحاييله.. ونذكر ما نقوله وكيف يمكن للعدو أن يستفيد من كل كلمة نقولها فتزداد جرأته ويتشجع وترتفع معنوياته ويفتح الطرق لتدخله ونفوذه. هذه أمور يجب التنبيه لها.

طبعاً شعبنا والحمد لله شعب صبور غيور صاحب استقامة. لقد أثبت شعبنا هذا. أثبت شعبنا هذا طوال هذه الأعوام الثلاثين وقبل انتصار الثورة. نحن صابرون لكن زعماء الاستكبار والناطقين باسمهم يقولون باستمرار إن صبرنا يكاد ينفد.. وطاقتنا تكاد تنتهي.. هذا ما يقولونه مقابل إيران.. إنكم لم تصبروا مقابل الشعب الإيراني.. متى صبرتم أنتم؟ لقد نفذتم كل ما تستطيعونه في كل مكان ضد شعب إيران. متى صبرتم أنتم؟ ألم تتأمروا؟ ألم تشنوا الهجمات الإعلامية؟ ألم تفرضوا الحظر الاقتصادي؟ ألم تشنوا الهجومات العسكري؟ ألم تطلقوا كلابكم المسعورة في المنطقة؟ - أعني إسرائيل الغاصبة ضد نظام الجمهورية الإسلامية - متى صبرتم حتى تقولوا إن صبرنا يكاد ينفد؟! الصبور هو الشعب الإيراني. نحن الذين صبرنا ووقفنا وصمدنا.. نحن الذين غضضنا الطرف عن مؤامراتكم وإعلامكم وضجيجكم وواصلنا طريقنا. وسوف يواصل الشعب بكل كيانه وبهمم شبابه هذا الطريق الذي أشار إليه إمامنا الراحل الكبير ودلنا عليه، وسيبلغ القمة النهائية إن شاء الله.

لا تتركوا الجد أيها الشباب الأعزاء! لا تتركوا العمل، ولا تتركوا البصيرة. الإمام علي نموذجكم أيها الشباب. علم الإمام علي وتقواه وطهره نموذج لكم فلا تتركوه. لا تتركوا الجهاد والسعي في سبيل الله - كل ميدان من الميادين له جهاده الخاص به - واعلموا أن غد هذا البلد سيكون أفضل بكثير من حاضره إن شاء الله. وهذا الغد هو لكم. وسوف تعينكم روح الإمام علي (عليه آلاف التحية والثناء) وأدعية سيدنا بقية الله (عج) إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

¹² شعار الحضور: الطاقة النووية حقنا المسلم به.